

خسرو وشيرين

في التصوير الإسلامي

للدكتور محمد مصطفى

— ٣ —

تنقل الحبيبان ومن معهما من أفراد الحاشية والجواري
والخدم من مكان إلى آخر ، فوق المضاب المرتفعة وفي السهول
وبين الراعي والحقل ، وهما في رحلتهما إلى الرض يلاذ أرمينية ،
يلهوان بالصيد والتنصص وأنواع التسلية والملاهي الأخرى ، حتى
وصلا إلى شاطئ نهر آراس ، حيث تنبت من الأرض رائحة
المسك والطيب ، ويحلب الهواء معه عطور الورود والرياحين
وشذى الزهور والياسمين ، فطلب لها في هذا للسكان المقام ،
وأمرها بضرب الخيام . وهناك أقام خسرو مادة ثانية لحبيته
شيرين ، استما فيها لألحان « باريد » وموسيقى « نيكيسا » وهما
يرددان أشيد الغرام ، فينطلقان بما ينبض به قلب كل من الحبيبين
من هواتف ووجد وهيام

وفي صبيحة اليوم التالي لهذه المأدبة ، جلس خسرو إلى
جانب شيرين أمام إحدى الخيام ، وإذا بأسد جاثم يتقنض عليهما
والشرر يتطاير من عينيه ، يريد أن يتال من خسرو كأنه يحقد
عليه الاستتار بشيرين الحلو الجميلة . فقام إليه خسرو وهو أعزل
من السلاح ، وهباً ليقابله في معركة حياة أو موت ، بينه
— وهو ذلك الملك التوج على شعب إيران العظيم — وبين هذا
الأسد الجاثم — وهو ملك الوحوش أجمع وسيد الصحاري
والبراري — فتفاه وقد شتر عن ذراعيه ليدافع عن حبيته .

ووهبه الحب قوة على قوة ، فأمسك الأسد بينه اليسرى من
لبته ، ثم هوى على أم رأسه بضربة شديدة من قبضة يده اليمنى
كانت هي القاضية عليه . وقد حدث ذلك كله في طرفة عين دون
أن يجد الحارس الواقف على مقربة من الخيمة الوقت الكافي
لهجوم على الأسد وشنج رأسه بسيفه . وكانت شيرين قد هرع
إلى باب الخيمة ووقفت به ، تنظر إلى « المركة » واجهة خائفة
أن يصيب الأسد خسرو بسوء ، ولكنها عند ما رآه يتحصر
عليه ، ازداد إعجابها بحبيبتها واعتادها به

وفي (شكل ١) ترى ^(١) خسرو وهو واقف أمام خيمته
بجوار مجرى ماء ، وقد أمسك بينه اليسرى لبته الأسد ، وهباً
ليقضى عليه بضربة من قبضة يده اليمنى . وإلى اليمين أسرع
حارس لماوته ، وتد قبض بكفتا يديه على سيف امتشقته ليضرب
به الأسد ^(٢) . ووقفت شيرين وعلى رأسها تاج في مدخل الخيمة
تمض يدها وهي تنظر في لهفة إلى خسرو ، وإلى جوارها ثلاث



(شكل ١)

من صوحيباتها يقفن نتيجة « المركة » ورجل من أفراد الحاشية
قدم لنجدة خسرو . ونلاحظ النقوش الجميلة الواضحة على قماش
الخيمة ، من فروع نباتية وزهور وصور حيوانات وطيور . وهذه
الصورة في مخطوط لأشمار إيرانية ، كتب سنة ٨١٣ هجرية
(١٤١٠ م) للأمير اسكندر سلطان حاكم شيراز ، وهذا المخطوط
محفوظ في مجموعة جلبنكيان

هكذا مرت الأيام ومضى الوقت والحبيبان يلهوان بالصيد
والتنصص ، وإقامة الحفلات والمآدب ، والاستماع إلى الغناء
والموسيقى ، وتشعران بالسور والسعادة في قرب كل منهما

(١) هذه الصورة متوفرة من : S. P. A., V pl. 861 B
انظر أيضا : S. P. A., III, p. 1845-46 و Sakizian, pl. XXX, fig. 44

(٢) ترى هنا الوضع في الصور للمائة . انظر مثلا : Esayon —
Wilkinson — Gray, p. 63, no. 42 b, pl. XXXI C.

ليضربه الضربة القاضية . ونزى المركبة حولها قائمة على قدم وساق ، والمحاربون يحملون الأعلام وهم على ظهور الجياد ،



(شكل ٢)

يتطاعنون بالحرب والسيوف وتراشقون بالسهام ، وقد سقط البعض منهم صرعى على الأرض ، وراحت جيادهم تغدو هنا وهناك وهي حائرة . ويلاحظ ما هو واضح في هذه الصورة^(١) ، من الحركة والحياة ، وما يبدو على سحن الأشخاص فيها من الاهتمام . وهي تنسب للتصور « سلطان محمد » أحد مشاهير مصوري عصر الشاه طهماسب الأول الصفوي ، لما فيها من ميزات امتاز بها أسلوبه في التصوير^(٢) وهي محفوظ في المتحف الملكي الاسكتلندي

ولمرة الثانية توج خسرو ملكا على إيران بعد فرار القائد بهرام جوبين إلى خاقان الصين ، فأرسل إليه خسرو من اغتاله هناك . ولما استتب أمور برويز وانتظمت أسباب سلطانه ، وأذعت للوك طوعاً وكرهاً لأوامره وأحكامه ، وأظلت على المالفين سحاب عنه وإحسانه ، قسم الأرض أربعة أقسام ، وأرسل إلى كل قسم منها اثني عشر ألف فارس ، بمن ملاسوا الأمور وكابدوا تصاريف الدهر حتى ضاروا أفراد الزمان ، وآساد

للآخر إلى أن كان ذات ليلة وقد عصف الهوى بنفس خسرو واستبد به التزام فلم يستطع كبح جماحه ، فحرب منها يريد غوايتها ، ولكنها صدته ، وهي تذكر ذلك الوعد التي قطعت على نفسها أمام عمته « مين بانو » الطيبة القلب ، فاستمدت منه الجراءة لتفسو عليه ، وتطلب منه أن يسي لاسترداد عرش أجداده وأسلافه وينتصر على ذلك المنتصب ، وهو ذلك الملك القوي ، قبل أن يحاول غواية امرأة ضعيفة مثلها .

وكان لهذه الكلمات أثر شديد في نفس خسرو . ففي صبيحة اليوم التالي رحل قاصداً إلى بلاد الروم ، وقلبه مليء بالحسرة المرة لفراقه من حبيبته الجميلة . وفي الطريق مر على دير فيه راهب يتسك ، فحرب خسرو من الدير وقال : « أيها الراهب المتسك ، إنى رجل من أهل إيران أقصد حضرة قيصر في رسالة ، فأخبرنى بما يصير إليه حالى ، ويؤول إليه عاقبة أمرى . فقال الراهب : أنت كسرى برويز وقد هربت من يد بعض عبيدك ، وسيزوجك قيصر بعض بناته ، ويعدك بزجاله وأمواله فتعود ويهرب عدوك إلى بلاد بيده ثم يقتل بأمرك هناك . فقال : لا كان غير ما ذكرت أيها الراهب ، ولكن حتى يكون هذا ؟ فقال : بعد سنة أخرى ، إذا مضت خمسة عشر يوماً من السنة الثانية صرت ملك إيران ، وقسمت التخت ولبست التاج^(١) » وقد كان ما تنبأ به هذا الراهب الصالح ، وتوجه خسرو إلى الملك موريس امبراطور الروم ، فاستقبله استقبالاً حسناً ، ودعاه إلى النزول في « هيروبوليس » فأقام بها . ثم تزوجه من ابنته « مريم » وزوده بجيش قوى ، تمكن خسرو بواسطته من أن ينتصر على القائد بهرام جوبين ، ويلجئه للفرار إلى خاقان الصين ، حيث يقتل بأمر خسرو^(٢) .

وفي (شكل ٢) ترى التوتة بين الملك خسرو والقائد بهرام جوبين ، وقد جلس خسرو في هودج على فيل كبير ، وفي يده قوس يسد منها سهماً . وإلى جانبه في وسط الصورة معلمه الوزير بروجيد الحكيم ، وقد ركب على فرس وفي يده اسطراب يحمده به الوقت الملائم لهجوم خسرو على القائد بهرام جوبين

(١) عن التمامه ج ٢ من ٢٠٦ ، انظر أيضاً : Laurence :

Binyon, P. 18 و E. J. W. Gibb, I, p. 320 - 21

(٢) انظر تفصيل ذلك في التمامه ج ٢ من ٢٠٧ وما بعدها ، والطبرى ، طبعة الطبعة الحسينية ج ٢ من ١٢٨ وما بعدها ، ونولدك من ٢٨٢ وما بعدها ، وسيكس ج ١ من ٥١٩ وما بعدها

(١) مقولة عن : Binyon - Wilkinson - Gray, pl. XCIV. A

(٢) انظر : B - W - G, p. 137, و S. P. A., III, p. 1875

الضراب والطمأن ، وأوصى الكل بالتيقظ والتحفظ وحفظ الممالك ، وضبط للسالك . ثم رزق من زوجته مريم بنت موريث إمبراطور الروم ابناً دعاه بين الناس « شبرويه » . ولما مضى ثلاث ساعات من الليل على ولادته ، حضر المنجمون عند الملك ، فسألهم عن طالع المولود ، فقالوا : أيها الملك ، إن الأرض تمتلئ من هذا المولود شراً ، ولا يحمد أحد سيرته ، وهو يبرق عن الدين ، ويخرج عن طاعة رب العالمين^(١) . وكان ما تنبأ به المنجمون ، ولزم شبرويه نحس طالمه ، حتى أمر بقتل أبيه خسرو ، ثم مات هو بالطاعون كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد



(شكل ٢)

وفي (شكل ٣) نرى خسرو في يوم تتويجه ملكاً على إيران وقد جلس على عرش في منظره بمديقة غنية بأشجار السرو والفاكهة والزهور والورود . ويحيط به بعض كبار الملكة وهم سعدون ويتناقشون ، وقدّم لهم الخدم والسقاة الطعام والشراب ، ووقف حولهم رجال الحرس وممهم أسلحتهم ، وعلنان « البازدارية » وهم يحملون صفور الصيد . ووقف على سطح للنظرة ستة من أفراد الحاشية يتجادلون ويشيرون إلى أسفل ، ويدير كل منهم أنه يود أن يسبق زملاءه في التعرف على كبار الدولة الواقفين حول خسرو . وهذه الصورة^(٢) عليها إمضاء

(١) انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٢٢

(٢) منقولة عن : Laurence Binyon, pl. IX انظر أيضاً : Martio, II, pl. 136 والدكتور زكي محمد حسن - التصوير في الإسلام ،

اللوحة ٣١ شكل ٤٢

المصور « آقاميرك » ، ولكن بعض مؤرخي الفن الإسلامي^(٣) ، يقولون إنه لا يمكن التثبت بوجه قاطع من صحة هذه الإمضاء ، بالرغم مما هو واضح في هذه الصورة من اليقظة في رسم الزخارف والتركشة على الملابس وغير ذلك مما امتاز به أسلوب آقاميرك في التصوير . ونشأ هذا المصور من أسرة كريمة المحتد في أصفهان ، تنسب إلى آل البيت ، ثم رحل إلى تبريز حيث تعلم التصوير على المصور « بهزاد » وكان آقاميرك من الأصدقاء القريبين للشاه طهماسب الأول^(٤) ، ويقال إنه ما زال يشتغل بالتصوير في بلاط هذا الشاه حتى سنة ٩٥٧ هجرية (١٥٥٠ م) . ويظهر أن المصور قصد بهذه الصورة أن يبين ما كان عليه بلاط الشاه طهماسب من الأناقة والبنخ والروعة والجلال ، وأنه صور الشاه نفسه في شخص خسرو الجالس على العرش ، كما يتضح ذلك من سطر الكتابة في أعلى بناء النظرة . وهذه الكتابة تقرأ « اللهم خلد دولة السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم السلطان ابن السلطان بن السلطان أبو المظفر السلطان شاه طهماسب الحسيني^(٥) الصفوي بهادرخان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وإلى (كذا) يوم الدين » . وهذه الصورة في مخطوط نظامي السابق الذكر المكتوب للشاه طهماسب بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هـ (١٥٣٩ - ٤٣ م) وهو محفوظ في المتحف البريطاني

(لهبة)

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر : S. P. A., III, : Kuhnelt, Book Printing, in : p. 1874

(٢) تولى الشاه طهماسب الأول ملك إيران سنة ٩٤٤ هـ سنة

(٣) انظر : Zambaur, Mannel, p. 261 (٩٣٠ - ٩٨٤ هجرية) .

(٤) ينسب ملوك الدولة الصفوية إلى الامام موسى الكاظم من نسل

الحسين بن علي رضي الله عنهما . انظر سيكس ج ٢ ص ٢٤٠ ، وانظر

كتابة مماثلة باسم الشاه « عباس الحسيني الموسوي الصفوي » في :

O. Wiet, L'exposition persane de 1931, p. 56

عدد الربيع الممتاز

من مجلة

الحسان

أحدث للودات والأزياء — هدايا ثمينة مجاناً — بارتونات

مفارش — أدوات زينة الخ...

طبع السدد بالروتوغرافور بالألوان سنة ٧ قرشان صاع

يصدر أول مايو سنة ١٩٤٢